العمل السياسي للمسلمين في الغرب

ضمن قضية الإسلام والإنسان (*)

بقلم أ. رشيد أبو أسامة

مدخل :

لقد عرف الوجود الإسلاميّ في الغرب مرحلتين بارزتين اجتماعياً وسياسيا : مرحلة أولى ، أتى فيها المـــسلمون طلباً للرزق أو العلم ، ولكن بنية العودة إلى الوطن الأصلي بعد تحصيل المبتغى من الهجرة .

وتميزت عموماً هذه المرحلة في المجال الاجتماعي بالانكفاء على الذات والاهتمام بالحفاظ على هوية الجالية مـــن خلال المساجد والمراكز الإسلاميّة ؛ ولم تعرف إلاّ علاقات ثقافية أو دعوية ضعيفة جداً مع المحيط الغربي الذي لم يكن يمثل ، بكل فصائله ، في حسّ المسلمين إلاّ ذلك الكافر المستعمر المعتدي العنصري الذي لا يمكن أن تكون العلاقة معه إلاّ صدامية . وبقدر ما كان لهذا الانكفاء من إيجابيات الحفاظ على هوية المسلمين ، فقد ترتب عنه سلبيات تتعلـــق أساساً في إقامة حواجز نفسية ومعرفية لاندماج إيجابي للمسلمين في المجتمع الغربي .

أما على المستوى السياسي ، فلقد حملت النخبة الإسلاميّة الواعية في تلك المرحلة هموم أوطانها إلى بلاد المهجر ، وتركز جهدها على توعية الجالية بأوضاع بلادها ، وتأهيل المستعد منها للمساهمة في عملية الإصلاح والتغيير عنـــد الرجوع إلى بلاده . وتجدر الإشارة إلى أن الإعلام الإسلاميّ نفسه كان موجهاً للجالية بشكل أساسي .

ومرت الأيام وأصبح الاستقرار النهائي هو العنوان البارز للمرحلة الثانية من وجود المسلمين في الغرب ، إما لمتابعة المشوار مع الأبناء الذين لم يعد تربطهم ببلاد الأجداد إلاّ نوع من العاطفة التاريخية والعائلية ؛ أو بسبب وجود عوائق سياسية أو اجتماعية في بلاد المنشأ .

واليوم يتجاوز عدد المسلمين في أوروبا الغربية ١٢ مليون نسمة[١] ؛ ويتجاوز عددهم في الولايات المتحدة ٨ مليون نسمة ، نصفهم تقريباً (٤٦%) من الأمريكيين السود . وأصبح الإسلام يمثل الديانة الثانية في الكثير من الدول الغربية ، وهذا وضع جديد في تاريخ المسلمين والغرب على حدٍّ سواء .

وهكذا ، وابتداء من السنوات الأخيرة من القرن المنصرم ، بدأ التوجه لدى المسلمين نحو اتخاذ الأسباب الكفيلة بتوطين الإسلام في الغرب ، كما بدأ التوجه لدى السلطات الغربية نفسها نحو إيجاد السبل لتنظيم هذا التوطين في اتجاه يضمن لها التحكم فيه وتوجيهه .

وفي هذا الإطار برزت اهتمامات اجتماعية وسياسية جديدة ، تمثلت على المستوى الأول في الاهتمام بالجيل الثاني والثالث من خلال المدارس وغيرها من المؤسسات الإسلاميّة ، وفي نوع من الانفتاح الاجتماعي والثقافي للمسلمين على المحيط الغربي بمكوناته المختلفة ، كما بدأ التوجه نحو اقتحام المجال السياسي الغربي ، إما عن طريق أجهزة تمثيلية للمسلمين ، أو بالانخراط في الأحزاب السياسية الغربية . وبرزت على المستوى الإعلامي أن كتابات باللغات الغربية ، تخاطب الجيل الثاني من المسلمين وتهتم بهمومهم ، كما تخاطب أبناء المجتمع الغربي .

وإذا كانت الأهداف الاجتماعية والسياسية واضحة بالنسبة للمسلمين في المرحلة الأولى ، فإنها في المرحلة الثانية لا زالت غير جلية لجدتها أولاً ، ولافتقادها خاصة إلى رؤية ترسم مسيرتها وتحدد وسائلها .

وسنحاول في هذا البحث تحديد المعالم التي يمكن أن تؤطر هذه الرؤية ضمن الثوابت والمتغيرات التي تعرفها قضية المسلمين عموماً ، وقضية الإنسانية بشكل أعمّ ، على اعتبار أننا نعيش في عالم حولته العولمة إلى قرية كونية ، ارتبطت وتداخلت فيها مصالح الشعوب ومشاكلها بشكل لم يعد معه من الممكن معالجة قضية معينة بمعزل عن تداعياتها وتفاعلاتها العالمية .

أزمة العالم الإسلاميّ

إنّ ما يعانيه العالم الإسلاميّ اليوم من عجز وحصار وتبعية وحروب داخلية ، ليس إلاّ وجهاً لحرب واحدة تدور رحاها على امتداد المعمورة ، يشنها معسكر رأس المال ، على كلّ من تأبى قيمه أو ثقافته أو عقيدته ، الخضوع لجبروت رأس المال أو يمانع في أن تستغل ثرواته ويستعبد شعبه .

وما كان للعالم الإسلاميّ أن يتصدر واجهة الصراع ، بالشكل المأساوي الذي نراه في شتى المواقع ، لولا أهميته الاستراتيجية وثرواته المختلفة وعلى رأسها النفط ؛ ولولا سقوط الاتحاد السوفييتي الذي جعل الغرب المسكون بنزعة عدوانية ، يبحث بزعامة الولايات المتحدة ، عن عدوّ خارجيّ جديد يمنحه التماسك الداخلي من جهة والمبرر لحصول صناعة الأسلحة على الاعتمادات المالية اللازمة من جهة أخرى ؛ ولولا خاصة التحدي الديموغرافي

والحضاري ، الذي يمثله الإسلام في صراعه مع النموذج الغربي حول الإنسان . فإذا كان العقل الغربي قد مسخ الإنسان وأفقده إنسانيته بتحويله إلى مجرد رقم أصم في معمل الإنتاج وسوق الاستهلاك ، ومسخر كلية لمصلحة شركات الإنتاج العابرة للقارات ، فإن الإسلام يفتح أمامه آفاق الإيمان والقيم العلوية التي تعطي لحياته معنى أسمى من المعنى الحيواني الذي لا تحركه إلا اللذة والمنفعة ، مما يجعله مستعصياً على الاستعباد المعاصر الذي يمارسه رأس المال .

ويؤكد أكثر من مسؤول ومفكر غربي ما يمثله العالم الإسلاميّ من تحدي حضاري . فقد صرح (Jack Baumel) نائب رئيس اللجنة الأوروبية لأسبوعية الإيكونوميست سنة ١٩٩٠م قائلا : (بعد انهيار النظام السوفييتي وانتهاء حلف وارسو أصبح من الواضح أن حلف الشمال الأطلسي -في غياب أعداء يواجههم- لم يعد له نفس مبرر وجوده السابق ، فلنحذر من هذا القوس الجنوبي الواقع بين الجزائر والباكستان والذي تنشط فيه الإيديولوجيات المعادية للغرب .. من الآن لم تعد المشكلة مطروحة على المستوى العسكري أو حتى السياسي ، إنما صارت مطروحة أكثر فأكثر على المستوى التاريخي) -عن كتاب حوار التواصل ، د. المنجرة- .

أساليب التطويق

يعتمد معسكر رأس المال في مسعاه العدواني هذا ألواناً من وسائل التطويق والهيمنة . في الغالب يتعمد التطويق الاقتصادي من خلال تحكمه في مصادر الغذاء والدواء والتكنولوجيا ، والتمويل الذي يتحول إلى ديون مكبلة ؛ ولن يتورع في ضرب حصار اقتصادي قاتل لمعاقبة المتمردين ؛ كما أنها لا يستثني التدخل العسكري إما مباشرة وإما عن طريق وكلاء يمدهم بالعدة والعتاد .

غير أن أخطر وأنجع أشكال الهيمنة والذي يعتمد على الدوام ، فيتمثل في (**التغريب**) الذي يطال مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية . فمن حملة عالمية تستهدف علمنة المجال الاجتماعي من خلال قضية المرأة والأسرة ، إلى ضغوط دولية لتعميم المنظومة اللبرالية في المجال الاقتصادي ، إلى تعميم شكل الدولة القطرية المركزية وأشكال الممارسة السياسية الغربية ، إلى خضوع الفن المعماري في البلاد الإسلاميّة إلى التصاميم الغربية ، إلى هيمنة مفهوم الطب الغربي علماً وممارسة وأدوية .. إلخ . ولا شك أن الدول التي تكابد في جسدها قساوة الحصار على الأدوية تدرك الأهمية الاستراتيجية لقطاع الطب والصيدلة .

واخترق التغريب مفاهيمنا وعلومنا ومناهج بحثنا وطرق تربيتنا ، بل وأساليب أكلنا وشربنا . والتطويق الثقافي أخطر ، لأنه يؤدي في النهاية إلى الاستسلام الطوعي أو إنتاج مجتمع هجين ؛ شكله إسلامي ، ومضمونه غربي . ولا يمكن لنهضة أن تتم على أسس ثقافية مستوردة[٢] .

وهذا ناهيك عن حملات التنصير التي تستغل الفاقة لدى الفقراء المسلمين في أفريقيا وغيرها ، لتنصيرهم[٣] .

هذا النـــزوع العدواني نتاج ثقافة

وليس هذا المنحى العدواني الغربي مجرد أخطاء أو انحرافات لأصحاب القرار هناك ، إنه نتاج ثقافة ، نشئت عليها شعوب وأجيال بكاملها . ولا بد من استيعاب ركائز هذه الثقافة لفهم النـــزوع الغربي نحو الهيمنة والعنف .

تتميز الثقافة الغربية بالعلمانية التي تعني : فصل مختلف مناحي الحياة البشرية عن أية مرجعية دينيـــة أو خلقيـــة أو إنسانية ، مما يؤدي إلى إسقاط كل قدسية عن الكائن البشري واعتباره مجرد شكل متطور من الموجودات الحيّـــة ، لا حرمة له ولا خصوصية ؛ فهو مجرد مادة استعمالية[٤] ينطبق عليه ما ينطبق على غيره من الموجودات التي يـــستعملها الإنسان .

وتؤدي العلمانية كذلك إلى انفصال مؤسسات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ، عن بعـــضها البعض ، بحيث تعمل كل واحدة منها وفق منطقها وقوانينها الخاصة الكامنة فيها ، مثل قوانين الطبيعة ، أي من دون الرجوع إلى قيم مرجعية (دينية أو خلقية أو إنسانية) خارج ذاتها ، وهذا ما ينتج النـــزعة النفعية الفظة وسياسة الكيل بمكيالين التي يندد بها المسلمون ، والتي تعتبر حالة طبيعية في العقل الغربي .

وتتضح هذه العملية كما يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري ، في أول قطاعين تمّ تحريرهما مـــن قيـــد الـــدين والأخلاق ، وهما القطاع السياسي والاقتصادي . وبعدهما استقلت الفلسفة حيث ظهرت العقلانية التي أقصت كـــل عقيدة أو إيمان بالغيب أو مركزية خاصة للإنسان في بحثها عن الحقيقة . وتلا ذلك علمنة الأخلاق ، حيث ســـادت الروح العملية (البرجماتية) ، والإيمان بأن البقاء للأصلح وأن الدافع الوحيد للسلوك هو حبّ الذات ؛ وتمت علمنـــة الأدب والجنس والأسرة وغيرها من مميزات وممارسات الإنسان لتستقل عن القيم الأخلاقية وعن أي إحساس بالذنب أو الخطيئة ، لكي لا تخضع في النهاية إلاّ لمقاييس اللذة والمنفعة ، ويتحول كل شيء في النهاية إلى مادة استعمالية يمكن توظيفها تجاريا) .

ومن خلال هذا التشكيل الثقافي للإنسان الغربي تتحدد علاقته مع غيره ، فرداً كان أم جماعة .

فبدافع من هذه العقلية النفعية الفجة يستبيح الغرب كل وسيلة لتحقيق أطماعه ، بما في ذلك الإبادات الجماعيـــة كما مارسها في السابق في الأمريكيتين والمستعمرات ، وكما مورست في البوسنة وتمـــارس في العـــراق والشيـــشان وغيرها . فما لم تتغير هذه العقلية فلن يتردد الغرب في ضرب أية محاولة تحررية فعلية في بلاد المسلمين ، ويملك لذلك شتى الوسائل ؛ وخاصة مع الأوضاع المزرية وعوامل العجز التي تئن تحت وطأتها الأمة اليوم[٥] .

وبناء على ما مرّ يعتبر أي مسعى يطمح إلى نهضة تحرر إرادة الأمة الإسلاميّة سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، تحريـــراً يعيد لها السيادة الفعلية على قرارها السياسي وثرواتها المختلفة وثقافتها الأصيلة ، دون الانخراط في مـــشروع نـــضالي

شامل ، يهدف بالتعاون مع كل شرفاء ومقهوري هذا العالم إلى تحرير شعوب الأرض قاطبة من قبضة مراكز الهيمنـــة العالمية بكل ألوانها ، بغية إرساء نظام عالمي آخر يعيد للإنسان كرامته وتقوم فيه العلاقات الدولية علـــى الإنـــصاف واحترام إرادة الشعوب في تقرير مصيرها والتحكم في ثرواتها ، قد يكون واهماً ، ولن يفضي في أحسن الأحـــوال إلا إلى حالة شبيهة بالاستقلال الصوري الذي أحرزته البلاد المستعمرة عندما انخرطت منفردة ، بعد الكفاح المسلح ، في مفاوضات غير متكافئة مع المستعمر الذي ما لبث أن خرج من الباب حتى عاد من النافذة .

العمل على ثلاثة محاور

وهذا يستدعي العمل على ثلاثة محاور :

العمل أولاً على تطوير كفاءة الأمة على المستوى الداخلي وعلى كل صعيد ، ودعم كـــل مبـــادرات النـــهوض وتوحيد الصف وبناء التكامل والتعاون الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وغيره . ولا بد هنا من الإشارة إلى ضـــرورة إخراج الإسلام من دائرة الصراع السياسي الضيق الذي يختزل عمل حركات النهوض الإسلاميّ في الـــصراع علـــى السلطة الذي يستنـــزف طاقة الأمة ، ويصد أبناء الصحة الإسلاميّة عن الوجهة التغييرية الـــصحيحة ، المتمثلـــة في الانكباب من خلال الزمن على إعادة بناء الأسس الحضارية للأمة ؛ تلك الأسس التي لولا تحطيمها واستبدالها بأشكال ممسوخة لما تمكن الاستعمار من تحويل الأمة إلى كيانات ضعيفة ملحقة وخاضعة . وغير خاف على أحد أن النهضة لا يمكن أن تقوم على أسس ثقافية مستوردة . ويحتاج هذا المشروع إلى تفعيل طاقات المجتمع بكامله ، أفراداً وجماعـــات ومؤسسات ، في مراهنة على إحداث التغيير المنشود من الأسفل ، ومن خلال تطوير البديل الحـــضاري الإســـلاميّ ميدانياً وعلى مختلف الأصعدة . والرفع من كفاءة الأمة هو وحده الكفيل بإصلاح التردي السياسي .

غير أن قصر الجهد على المستوى الداخلي لا يكفي وحده لتحقيق التحول المنشود في الأمة ، ما دامت مطـــامع الغرب في بلادنا وإمكانية التدخل والضغط والتحكم الخارجي لتحصيلها قائمة . فلا بد كذلك :

من المساهمة مع كل من يقف في وجه الطغيان العالمي وفي وجه الزحف المتواصل لرأس المال ، من جمعيات أهليـــة ومنظمات غير حكومية تعمل على المستوى العالمي والتي كان لها يوم ١-٢/١٢/٩٩م دور مشهود في إفشال جولة من أعمال المنظمة العالمية للتجارة في سياتل ، لإقامة نظام عالمي بديل ، يقيم علاقة الدول والشعوب علـــى الإنـــصاف واحترام التعدد الثقافي والتعاون بدل الاستغلال . وكل مؤسسة إسلامية مطالبة حيثما وجـــدت بالمـــساهمة في هـــذا المشروع إذا توفرت لها إمكانية ذلك .

٣. ولا بد كذلك من العمل داخل الغرب نفسه للدفع في اتجاه تغيير القيم العلمانية التي تحكم ســـلوك الإنـــسان الغربي اليوم . وهنا يتجلى دور الجالية المسلمة المقيمة في الغرب .

عقبات في وجه التأثير الثقافي في الغرب

لا شك أن دون التأثير الثقافي في الغرب حدود وسدود . فهناك أولاً نظرة الغرب إلى الآخر ولو كـــان يحمـــل جنسية البلد الغربي ، التي غالباً ما تتسم بالعنصرية والرفض والخوف الذي يرسخ في لا شعور الإنسان الغـــربي مـــن خلال مناهج التعليم ووسائل الإعلام ؛ فلا بد أولاً من جهد في اتجاه تطبيع هذا الوجود الثقافي المختلف .

وتجدر الإشارة إلى أن المبتغى هو أبعد من مجرد قبول الغرب بالإسلام والاعتراف بأنه دين تسامح ومسالمة وتكريم لكل إنسان ، وبمساهمته في بناء الحضارة الإنسانية ونقل العلوم إلى أوروبا . فالغاية القصوى التي يجب أن لا تغيب عن الأذهان بعد توطين الإسلام في الغرب ، هي دفع هذا الغرب إلى رفع الحظر عن العالم الإسلاميّ ، وتمكينه من السيادة على ثرواته وتحرير إرادته الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ولن يتأتى هذا إلا بتخلي الإنسان الغربي عـــن ذلك المستوى المرتفع من العيش الذي وفر له مقابل سلبه بعده الثقافي والرباني ، والذي ما كان له أن يتـــوفر لـــولا الاستغلال المنهجي لدول الجنوب عامة والعالم الإسلاميّ خاصة .

فهل الإنسان الغربي بعقليته العلمانية الحالية مستعد لذلك ؟

يقول فيليب أنجلار أن (الغرب لا يستطيع اليوم تحمل نقص فيما درج عليه من رفاهية وحرية ، التي غالبـــاً مـــا حققها على حساب الآخرين ، أو احتقاراً لهم)[٦] .

وهذا ما يستدعي عملاً يستهدف إعادة صياغة العقلية الغربية في اتجاه يجعل الإنسان الغربي يعيد النظر في الغايـــة أصلاً من حياته وفي نمطه الاستهلاكي المسرف ، وفي تعامله المجحف مع الآخرين ، في اتجاه ينحو نحو الاعتدال والعدل والإنصاف .

ومن أهم العوامل التي ستضطر الغرب للسير مع الزمن في هذا الاتجاه ، هو أن نموذجه الثقافي والتنموي الليـــبرالي الذي يحكمه قانون الغاب ، والذي حول العالم والإنسان بحاجياته المادية والمعنوية إلى سلعة تباع وتشترى وفق قانون العرض والطلب ، لم يسئ إلى بلاد الجنوب فحسب وإنما لحقت آثامه الغرب نفسه ، بدءاً من الحـــربين العـــالميتين ، ومروراً بالأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يعاني منها أبناءه اليوم ، وانتهاء بـــالتلوث البيئـــي . فلقـــد تفككت الأسرة ، وتراجعت نسبة المواليد ، وانهارت الأخلاق ، وعمت الموبقات والمخدرات والمسكرات ؛ وتحـــول العالم بمادياته ومعنوياته إلى سلع تباع وتشترى ، والبورصات إلى دور للقمار ، والتنمية إلى هدف في حد ذاته تستباح من أجله كل الحرمات ، وتكررت الأزمات المالية منذرة بكارثة عالمية ؛ هذا إضافة إلى التهديـــد الـــصحي المباشـــر للإنسان ، كما يتضح ذلك من مشكل المنتجات الغذائية المحورة جينياً وخطورة الأميانت lámiante والأدوية الفاسدة بل والضارة ، حيث تغلب المصالح التجارية الاعتبارات الإنسانية ؛ وخضعت السياسة لسلطة رأس المال ، وتلاشـــت

كل المعاني البراقة التي نادت بها الديمقراطية ؛ وينذر ما أصاب البيئة من تلوث لم يستثن براً ولا بحراً ولا جواً بـــإغراق سفينة البشرية برمتها .

وهذا ما دفع سيرج لاتوش إلى القول بضرورة مقاومة المسار الذي اتخذه الغرب لاستمرار الحياة البشرية على وجه الأرض(٧) .

ولا بد من الوقوف هنا عند عاملين جديدين يعرفهما الغرب اليوم

التراجع الديموغرافي لدى الغرب واضطراره لاستقبال دماء بشرية شابة وأجنبية . فإذا نظرنا إلى الموضوع نظـــرة تستوعب الأحداث عبر تطورها المستقبلي ، فإن هذا سيؤدي لا محالة إلى اختلاط الشعوب بشكل سيؤثر حتماً علـــى اللون الثقافي الغربي العلماني الفجّ ، مثل ما حصل في العديد من الولايات الأمريكية .

الشعور المتزايد لدى الغربيين بالحاجة إلى قيم روحية ، كما ينادي بذلك برنامج (امنح روحاً لأوروبا) ، وكمـــا يتضح ذلك من كثرة الطوائف الدينية الخرافية التي تجتاح العالم الغربي .

وهذا من شأنه أن يفسح المجال أمام تطبيع الوجود الإسلاميّ هناك ، إذا وجد طبعاً من يقدم الإســـلام في حلّـــة جذابة ؛ تحسن ملء الفراغ الروحي الذي يكابده الإنسان في الغرب ، واستثمار ما يعانيـــه مـــن حرمـــان في دفء العلاقات الإنسانية الحميمة ، وما يعانيه من غياب لمعنى سامٍ للحياة .

غير أن هذا وحده لا يكفي لأن الدولة تعمل من خلال مؤسسات سياسية وإعلامية وتربوية قادرة علـــى إعـــادة صياغة من ينخرط فيها ضمن قيمها ومفاهيمها . مما يستوجب انخراط المسلمين في هذه المؤسسات للتأثير الإيجابي فيها .

ومن هنا تبرز أهمية العمل السياسي بالنسبة للجالية الإسلاميّة في الغرب

لا يمكن المساهمة بشكل فعال في إحداث تحول ثقافي في الغرب إلاّ بالمرور عبر الحضور السياسي ، الذي سيمكن الإنسان من التمتع الكامل بحقوق المواطنة . لأن هذا سيمنحهم حق إنشاء المؤسسات الضرورية للقيام بدورهم الثقافي وتقوية وجودهم وتأثيرهم الإيجابي ، من خلال المدارس والمعاهد التي تحافظ على هوية المسلم ، وتعد المؤمن المتمسك بقيمه والمتفاعل إيجابياً مع محيطه ، ومراكز الاستغراب الضرورية لفهم هذا الغرب فهماً يمكن من تحديد مفاتح التأثير فيه ؛ ومؤسسات إعلامية تمكن من إصلاح الصورة المحرفة عن الإسلام وتقديم الصورة الصحيحة باللغة التي يفهمهـــا الناس ؛ ومؤسسات للحوار الثقافي التي تمد جسور التعارف والتعاون على الخير ؛ ومؤسسات خيرية إنسانية تمكن من ترجمة قيم الإسلام الداعية إلى البر والتكافل والتراحم إلى واقع عملي .

الدور السياسي : أهدافه وضوابطه :

يجب أن يكون الهدف الأساسي الكبير للمشاركة السياسية هو تطبيع الوجود الإسلاميّ في ديار الغرب ، بحيـــث يصير المسلمون مكوناً عادياً من مكونات المجتمعات الغربية ، لهم نفس الحقوق التي لغيرهم من المـــواطنين ، وعلـــى رأسها الحقوق الثقافية .

وهذا الكلام للسيد جورجن نييلسون –أستاذ الدراسات الإسلاميّة ومدير مركز الدراسات حول الإسلام والعلاقات بـــين المسلمين والمسيحيين بجامعة برمنجهام بالمملكة المتحدة– ، يوضح الأبعاد الحقيقية للمشاركة السياسية بالنسبة للمسلمين ، ويحدد بالتالي الأهداف التي يجب أن يتوخاها العمل السياسي . يقول :

(لا تعني المشاركة السياسية مجرد السماح للمسلمين بمشاركة شكلية في الانتخابات ؛ إنها أعمق من ذلك ؛ إنهـــا تعني بشكل أساسي القبول بحضور إسلامي في المجال العام ، الذي يجب أن يشمل وسائل الإعلام الخاصة والعمومية ، ويشمل كذلك مختلف مؤسسات المجتمع المدني ، مع التأكيد على أهمية مجالس المدارس ، والمجالس الإدارية ، واللجان الاستشارية في قطاع الشرطة ومصالح الصحة .

وتعني المشاركة السياسية تشجيع سياسة تشغيلية غير تمييزية ، بشكل يمكن المسلمين من ولوج القطاع العمـــومي خاصة ، وشغل المناصب الإدارية على المستوى المحلي والوطني ، في سلك القضاء والقوات المسلحة .

ولنحذر من أي انفتاح سطحي على المسلمين ، يقصر المشاركة السياسية على الجانب الشكلي للسياسات الـــتي تعتمد النهج البرلماني . فلن يؤدي الوقوف عند الجوانب الشكلية الرمزية إلا إلى تعميق الشعور بالحرمان لدى المسلمين وتأكيد الصور النمطية تجاههم ؛ مما سيضع سدوداً دائمة في طريق مشاركتهم البناءة في التطوير المـــستمر لمجتمعاتنـــا المشتركة) .

ولتحقيق المشاركة السياسية بهذا المعنى هناك سبيلان :

السبيل القانوني الذي يتطلب حضوراً قوياً للمسلمين في الأجهزة التشريعية ، بغية الدفع في اتجاه ســـن قـــوانين تضمن للمسلمين نفس ما لغيرهم من حقوق المواطنة .

السبيل الشعبي الذي يتطلب من المسلمين الاهتمام بمحيطهم الشعبي ، ومد جسور التعارف والتعاون مـــع مـــن حولهم من جيران وزملاء العمل وغيرهم . ويتوقف هذا طبعاً على ضرورة التزام المسلمين بالسلوك الإســـلاميّ مـــع بعضهم البعض ومع محيطهم الغربي ، مع التأكيد على ضرورة احترام قوانين البلد الذي يعيشون فيه ؛ كما يعتمد على

تفعيل مؤسساتهم الثقافية في مدّ جسور التعارف والحوار مع المثقفين والسياسيين وغيرهم من عامة الناس وخاصتهم . ولا شك أن هذا كله يتطلب تطوير خطاب وفقه يناسبان هذا التوجه الجديد للمسلمين هناك .

ثم هناك أهداف أخرى للنشاط السياسي تتمثل في

- توعية المسلمين بحقوقهم وواجباتهم السياسية .

توعيتهم بالواقع العالمي الجديد وبضرورة مساهمتهم في تغييره ، كل حسب موقعه وقدرته .

- المساهمة في الدفاع عن القضايا الإنسانية العادلة ، ومن ضمنها قضايا المسلمين .
- الوقوف مع كل من يواجه الهيمنة المتزايدة لقوة رأس المال ولكل مراكز الاستبداد العالمي .
- تخليق الحياة السياسية في الغرب .

ويمكن أن يتم هذا ، إما من خلال مؤسسات خاصة بالمسلمين ، أو من خلال مؤسسات مشتركة مع غيرهم .

الضوابط :

نسوق أهم ضابط في هذا المجال من كلام الأستاذ جورجن نيبلسون نفسه حيث يقول : (أما في مجـــال العمـــل السياسي ، فقد يكون تأسيس أحزاب سياسية إسلامية خالصة خطأ فادحاً ، حيث لن تتمخض عن ذلـــك نتـــائج ملموسة ؛ فلأسباب ديموغرافية لن يمثل حزب إسلامي في مجلس للنواب إلاّ أقلية شبه منعدمة ، وفي الوقـــت نفـــسه سيعفي أحزاب الأغلبية من الاهتمام بالمشاكل العويصة للمسلمين) .

وقد يترتب على انغلاق المسلمين على أنفسهم في هذه المجالات العامة ما هو أخطر : إذ يمكن أن يعـــزلهم عـــن المجتمع ويثير ضدهم العداوة والحساسيات دون أن يكون بوسعهم تحقيق مكاسب معتبرة ؛ أما إذا عملوا من خـــلال المؤسسات السياسية القائمة ، من أحزاب ونقابات وغيرها ، فقد يتمكنون من كسب تأييد زملائهم غير المـــسلمين للحصول على ما يتطلعون إليه من حقوق .

وهذا يجرنا إلى محذور آخر يتمثل في نقل المشاكل السياسية لبلاد المسلمين إلى الغرب ، مثل مـــا كـــان ولا زال يحدث . وهذا يسيء إلى الإسلام ولن يغير في بلاد المسلمين شيئاً ؛ بل قد يدفع الدول الغربية إلى استمالة معارضـــي بلادهم لتخدم بهم مصالحها الخاصة . فلا ننسى أن التركيز يجب أن يكون في الغرب على المساهمة في إحداث التحول الثقافي هناك . وهذا هو الذي سيساعد على إصلاح الأوضاع في بلاد المسلمين وغيرها ، عندما يجدد الإنسان الغربي

نظرته إلى الحياة في اتجاه يعيد للقيم العلوية والإنسانية النبيلة مكانها في سلوكه ، ليكف بالتالي عن التـــدخل الـــسافر والمغرض والمستغل في شؤون غيره . وإن كان هناك من اهتمام بقضايا المسلمين فيجب أن يكون ضـــمن الاهتمـــام بالقضايا الإنسانية عامة .

خلاصة :

إذا اجتهد المسلمون في اتجاه تطبيع وجودهم في الغرب بشكل يمكنهم من التأثير الثقافي فيه ، فسيقدمون بـــذلك خدمة لأنفسهم وللغرب ولبلاد المسلمين وللإنسانية جمعاء .

(*) محاضرة ألقيت في الملتقى السنوي الخامس والعشرون بمدينة كركرادة / هولندا

(١) يتوقع د. المهدي المنجرة أن يترفع هذا العدد إلى ١٥ مليون في أفق ٢٠٢٠

(٢) يتخوف البعض على سبيل المثال من أن يكون التحاق المملكة العربية السعودية بالمنظمة العالميـــة للتجـــارة مقدمة (للاجتياح الثقافي) فخلال المفاوضات مع الولايات المتحدة بهذا الخصوص ، أثيرت قضايا متعلقـــة بالحريـــات الدينية وحقوق المرأة وحتى السينما . فلقد طالبت واشنطن العربية السعودية التي لا توجد بها دور للسينما ، أن تسمح بفتحها – عن ألان جريش Alain Gresh لوموند ديبلوماتيك أبريل ٢٠٠٠–

(٣) يقدر الشيخ أحمد القعطاني مدير منارة الصحابة للعلوم الشرعية بليبيا أنه يتم سنوياً تنصير ٦ مليون مسلم من أفريقيا وحدها – برنامج الشريعة والحياة ، قناة الجزيرة ٢٠٠٠/٦/١٨م .

(٤) كما سماها الدكتور عبد الوهاب المسيري .

(٥) من المعوقات الكبرى التي تعاني منها الأمة اليوم التجزئة ، بل والمشاكل الحدودية التي تضعفها أمـــام غيرهـــا وتستنـــزف قواها في صراعات حدودية لم تسلم منها منطقة ؛ ثم هناك الاستبداد السياسي الذي غالباً مـــا يلجـــئ المستبد إلى حماية الغرب ؛ ثم هناك التبعية الاقتصادية والتكنولوجية التي تمكن الغرب من التحكم في مأكلها ومشربها ؛ وهناك ما يسمى بالأقليات العرقية التي يتم تحريكها لزعزعة الأوضاع الداخلية . وفي النهاية التغريب الـــذي يـــشكل العقول والأذواق والسلوك ؛ مما يؤدي في النهاية إلى الاستعمار الذاتي الطوعي .

(٦) الإنسان العالمي ص ٢٧ .

(٧) كتاب مخاطر السوق الكوكبية ص ١٧ .